

## الحلقة (٧)

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)}

وقد وقف الحديث في الحلقة السابقة عند قول الله تبارك وتعالى {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} بعد أن بين الله جل وعلا براءة سليمان عليه السلام من الكفر وذكرت أنه ليس في الآية من نسبه إلى الكفر ولكنهم نسبوه إلى السحر ولكن لما كان السحر كفراً كان بمنزلة من نسبه إلى الكفر، وأن هذه الجملة استفاد منها العلماء أو استدلوا بها على كفر الساحر.

قوله تبارك وتعالى {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} هذا دليل آخر على كفر من تعلم السحر، وقوله تبارك وتعالى "ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر" يجوز أن يكون يعلمون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر ثاني هذان وجهان في إعراب كلمة يعلمون، وفي قوله تبارك وتعالى {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ} فيها قراءتان قرأ الكوفيون سوى عاصم {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ} لكن بتخفيف لكن ورفع النون من الشياطين، هكذا قراءتهم ووافقهم ابن عامر، وقرأ عاصم والباقون {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ} بالتشديد والنصب، القراء السبعة معروفون هم ابن كثير المكي ونافع المدني وابن عامر الشامي وحزمة و الكسائي وعاصم كل هؤلاء من الكوفة وأبو عمرو البصري هؤلاء هم القراء السبعة، من أشهر المراجع في القراءات السبع كتاب السبعة لابن مجاهد أيضاً كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي القيسي، من أراد التوسع في القراءات العشر: كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، التوسع أيضاً في القراءات الأربعة عشر: تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر.

قوله تبارك وتعالى {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ} ما معنى السحر؟ قال الجوهري: "السحر الأخذه، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر"، ويطلق أيضاً على التمويه بالحيل والخداع، هذا كله يدخل في معاني السحر، وما لطف وما دق مأخذه أو دق سببه أو فيه تمويه وتحايل وخداع هذا كله يدخل فيه، فالساحر مع الشياطين يتعاونون على فعل أشياء، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي عليه، كالذي يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه أنه ماء، كراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيل له أنه ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه، ونحو ذلك، فهم يتعاونون مع الشياطين بعقد وبأمر وطلاسم

وشعوذة ينفذون بها إلى ما يريدون.

هذا السحر اختلف في اشتقاقه كلمة سحر من أي شيء مشتقة قيل هو مشتق من التمويه بالحيل والتحايل، وقيل هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته بمعنى عللته، مثل يقول واحد أنا والله آخذ حاجة من الطفل الصغير سحرته وما معناه السحر الحقيقي لكن خدعته عللته بشيء أعطيته شيء وأخذت شيئا منه هذا معناه، وقيل أنه مشتق من **الخفاء** أصله الخفاء، فإن الساحر يفعل ما يفعل خفيةً، وهذا أيضا صحيح، وقيل أصله من **الصرف**، لأن المسحور يصرف عن زوجته ما يسمى بالتولة، هذا شيء يصنعونه يصرف الزوج عن زوجته أو الزوجة عن زوجها، أو يصرف الإنسان عن بيته، أو يصرفه عن عمله، أو عن دراسته، وهذا أيضا معنى صحيح، وقيل أصله من **الاستمالة**، فإذا عمل سحرا لشخص يستمال إلى أشياء أخرى، ولذلك يقولون من استمالك فقد سحرك، على كل حال كل الاشتقاقات صحيحة، فالسحر تمويه وتحايل وفيه خداع وفيه خفاء وفيه صرف وفيه استمالة، كل هذه المعاني صحيحة التي قيلت عن السحر.

◀ **هنا مسألة وهي اختلف العلماء هل السحر له حقيقة أم لا؟** عند المعتزلة يرون أنه خدع وتمويه وإيهام لا أصل له، وذهب أهل السنة والجماعة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، لكنه يختلف، قد يكون وسوسة وأمراض، قد يكون طلاس، و زئبق، وحاجات، نسأل الله أن يزيدنا بها جهلاً، ويكفي المسلمين من شرها، أيضاً تعظيم الأشياء، تصغير الأشياء، الله جل وعلا أعطى الجن من القدرة شيئا عظيما وإذا تعاونوا مع هؤلاء حصل عن طريقهم شر كثير.

❖ **ما الأدلة أن السحر له حقيقة؟** هناك أدلة كثيرة منها:

(١) ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر الله تعالى أنهم يعلمون الناس فدل أن له حقيقة، أي لو كان السحر ماله حقيقة كيف يعلم؟ وهم كانوا يتعلمون يعلم بعضهم بعضا إما من الجن أو الإنس يتعلمون فيما بينهم، كل واحد يعلم الآخر، إذن له حقيقة إن لم يكن له حقيقة كيف يتم تعليمه.

(٢) من الأدلة أيضا قوله تعالى عن سحرة فرعون { **وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ** } وصفه **جل وعلا** بأنه عظيم بأن له حقيقة.

(٣) الدليل الثالث قوله تبارك وتعالى { **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** } وسورة الفلق سبب نزولها أن لبيد بن الأعصم اليهودي عليه من الله ما يستحق سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر ذلك البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم" وفي الحديث أن عليه الصلاة والسلام لما حل السحر قال **(إن الله شفاني)** وقد أخبر أنه عمل له عمل في بئر وذهب الصحابة وأخرجوه منها إلى آخره، المهم أن السحر له حقيقة وعليه الصلاة والسلام كان يخيل أنه

يفعل الشيء ولا يفعله، ولكن الحمد لله لم يتطرق إلى الوحي وإلى الدين وإلى الشريعة، لكي لا يأتي أحد ويقول والله الدين تأثر صار فيه اختلال بسبب السحر، كان في أشياء معينة لم تصل إلى مسألة الدين وإلى البلاغ وإلى الشريعة الإسلامية، المهم أن هذا يدل على أن السحر له حقيقة وما فيه شك، وآثاره الآن واضحة، ناس يصرفون عن بيوتهم، ناس يصيبهم جنون، ناس يصيبهم صرع، واحد يصرف عن زوجته، المرأة تصرف عن زوجها، أشياء كثيرة نسأل الله العافية.

**العلماء أيضا أدخلوا في السحر ما يكون بالخفة، الحركات والشعوذة،** وهذا للأسف يكثر في بعض القنوات الفضائية ما يسمى بالسحر أو السرك السحري أو نحو ذلك، فلان يخرج شيء من فم الأسد، أو يدخل شيء أو يدخل هو في شيء آخر، هذا نوع من السحر، ولا يجوز للمسلم أن يراه أو يقف عنده ولا أن يصدقهم كما سيأتي الكلام إن شاء الله فيه، أيضا من السحر ما يكون طلسم وأرقام وحروف مركب بعضها على بعض، أيضا من السحر الأدوية حبوب أو شراب أو دخان يتصاعد، يعني لهم في ذلك أنواع وحيل يتلاعبون بها على الناس، أيضا النبي صلى الله عليه وسلم أدخل بعض الأشياء في السحر وإن كانت لا تأخذ حكم السحر مثل الكلام الحسن الجميل، قال عليه الصلاة والسلام **(إن من البيان لسحراً)** من حسن البيان لا يكون سحراً محرماً، المقصود أنه يجذب العقول ويصرف الأنظار إليه من حسن كلامه ومنطقه، هذه أنواع تدخل في السحر.

**هناك فرق بين السحر والمعجزة: السحر :** عمل الساحر، **والمعجزة :** من الله تبارك وتعالى لأنبياؤه ورسله، وكل نبي يعطى من المعجزات ما يناسب الذي كان عند قومه، والذي برزوا فيه، موسى عليه السلام أعطي العصا، وتخرج يده بيضاء ليس فيها برص، لأن قومه كانوا مشهورين بالسحر، عيسى عليه السلام كان يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتي بإذن الله عز وجل، لأن قومه كانوا مشهورين بالطب، العرب كانوا مشهورين بالفصاحة والبلاغة فجاءهم هذا القرآن فأفحمهم وأعجزهم، فالسحر يوجد من الساحر، لا يمكن أن يأتي أحد بالمعجزة إلا الله تبارك وتعالى ويجعلها لرسله، ولا يمكن أن يستطيع أحد أن يعارض أو يتحدى أو يفحم هذه المعجزة، أما السحر قد يأتي واحد أقوى سحرا من سحر فلان فيعجزه ويغلبه، وقد يُشفى بإذن الله هذا المسحور ويغلب سحر الساحر ويعافي هذا بإذن الله عز وجل، هذه أمور بتوفيق الله سبحانه وتعالى، لكن الذي يخاف منه يخشى أن يتعدى ضرره، أما **المعجزة :** فهي من الله تبارك وتعالى فالمعجزة تأييد من الله تبارك وتعالى لأنبياؤه ورسله فالمعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها، أما السحر فهو شعوذة ودجل وضلال على الناس.

← **ما حكم الساحر؟** ذهب العلماء إلى أن السحر كفر و تعاطيه كفر واستدلوا بقول الله تبارك وتعالى { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } وقوله تعالى { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } هم ما قالوا إنه كافر ولكن نسبوه إلى السحر، وعلى هذا يكون السحر كفر، ثم قال

تبارك وتعالى "ولكن الشياطين كفروا" هذا أيضا مما يدل على أن فعل السحر كفرًا.

← **أما حد الساحر :** القتل لقوله عليه الصلاة والسلام (حد الساحر ضربة بالسيف) رواه الترمذي وروى عن عائشة أنها باعت ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب" وأيضاً عمر رضي الله عنه بعث إلى ولاته "أن اقتلوا كل ساحر وساحرة" قالوا : فقتلنا ثلاث سواحر، لكن ما يقتل الساحر أنا ولا أنت ولا فلان، هذا إلى ولي الأمر، يقبض على الساحر ويحقق معه وينظر القاضي فيه ويصدر فيه الحكم الشرعي، ثم يتولى ولي الأمر التنفيذ، لكن لا يجوز للإنسان أن يقتل السحرة ويقول هؤلاء آذوا الناس سأقتلهم.

لا يجوز لنا أن نأتي السحرة ولا أن نسألهم ولا أن نصدقهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أتى كاهنا أو عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) وفي الحديث الآخر (من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) فهذا أمر خطير جداً لا يجوز بأي حال من الأحوال لا النظر إليهم ولا سؤالهم ولا تصديقهم، والذي ذهب يطلب علاجاً أو يطلب سحراً هذا الآن صدقهم ودفع المال، هذا على خطر عظيم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)

قوله تبارك وتعالى { وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ } اختلف في " ما " على

#### قولين:

• **القول الأول:** أنها نفي والواو" للعطف على قوله { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } يعني وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، يعني لا كفر سليمان ولا الذي أنزل على الملكين، وذلك أن اليهود قالوا أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك، وقال ابن عباس "لم ينزل الله السحر"، وفي الكلام بعضهم يرى أن فيه تقديماً وتأخيراً والتقديم كما قال الطبري "وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين" "ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل" وأن الذين يعلمونهم رجالان اسم أحدهم هاروت والآخر ماروت وهذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى ما سواها، الحقيقة توجيه جميل جداً ونفيس من الطبري يقول وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر يعني هنا "ما" نافية، يعني الله جل وعلا ما ينزل السحر إلا على القول الآخر أنه ابتلاء وامتحان هذا قول آخر، ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا، هذا قول أن "ما" هنا نافية.

• **القول الآخر** يرى أن "ما" عطف على السحر، وتكون اسم موصول بمعنى الذي ويكون السحر مُزَّل، يعني القول الأول يقول: لا أن الله ما أنزل السحر، القول الثاني الله أنزل السحر على الملكين فتنة للناس وامتحاناً، لئبلى الناس ويختبرون، قال أهل العلم والله أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بنهر طالوت، ولهذا كان الملكان يقولان { إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } يعني هذا استدلو به على

أن "الواو" هنا للعطف وأن "ما" موصولة، وهذا يدل أن الله جل وعلا أنزل السحر فتنة للناس، أي محنة من الله نخبرك أن عمل السحر كفر، فإن أطعنا نجوت وإن عصيتنا هلكت، ومثل ما يعطي الله جل وعلا للدجال الذي يكون في آخر الزمان يعطيه الله أمور تكون على يديه، يضرب القرية فتكون خضراء، ويضرب القرية فتكون محملة، يقتل الرجل يقصه شقين فيقول قم حيا، هذا فتنة وامتحان أجراه الله جل وعلا على يد هذا الرجل، وقد "روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وغيرهم ما معناه أنه لما كثر الفساد في أولاد آدم عليه السلام وذلك في زمن إدريس عليه السلام عيرتهم الملائكة فقال الله تعالى (أما إنكم لو كنتم مكانهم وركبتم فيكم ما ركبت فيهم لعلتم مثل أعمالهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك، فقال فاختاروا ملكين من خياركم فاختاروا هاروت وماروت فأنزلهما إلى الأرض) ولكن الحقيقة الرواية هذه جاء فيها أنهما فعلا الزنا وشربا الخمر، ولذلك قال القرطبي هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عباس وعن ابن عمر وغيرهم من الصحابة، لأن الحقيقة هذه من الروايات الإسرائيلية السيئة، أن هذين الملكين شربا الخمر وصاروا يفعلون الفواحش بالنساء، يقول القرطبي إنه ضعيف ولا يصح منه شيء، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراء الله إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، قد أنزل الله ملكين وجاء معهما السحر فتنة للناس، لكن التوسع والتزيد والقول أنهما كانا يشربان الخمر ويفعلان الفواحش هذا كلام قبيح وسيء لا يمكن أن يصح عن الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك نفاه هؤلاء العلماء.

قوله تبارك وتعالى { **بَبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** }، { **بَبَابِلَ** } ممنوع من الصرف لا ينصرف للتأنيث والتعريف والعجمة، وهو قطر من الأرض، قيل إنه عام، وقيل هو العراق وما والا، وقيل هو المغرب وهذا ضعيف، والأقرب أنها في العراق أو في شماليه والعلم عند الله تبارك وتعالى، قوله تبارك وتعالى { **هَارُوتَ وَمَارُوتَ** } هاتان كلمتان أيضا لا تنصرفان، يعني ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، أما بابل فهو للعلمية والعجمة أو للعلمية والتأنيث، وكلها تدل على الممنوع من الصرف، ويجمع على هواريت ومواريت مثل طواغيت، ويقال هوارته وهوارن وموارته وموارن، مثل جالوت وطالوت والله أعلم، **اختلف هل هما ملكان أو غيرهما؟** هذا مرتبطة في المسألة السابقة، يقول الزجاج "روي عن علي رضي الله عنه قال: إن الملكين يعلمان الناس تعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه، يعني أنهما ما كانوا يعلمون الناس السحر يعلمونهم ليكونوا سحرة لا، هم يعلمونهم لينذروهم ليخوفونهم منه، وقيل أنهما ليس ملكين ولكن هذا يخالف ظاهر الآية فالآية أنهما ملكان."

قوله تبارك وتعالى { **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ** } أي وما يعلمان أحدا القول بزيادة من هنا قول غير صحيح فليس في القرآن شيء زائد، قد يقال صلة تأدبا مع القرآن، قوله تبارك وتعالى { **حَتَّى يَقُولَا** }

نصب الفعل هو التقدير: يقولان نصب بـ"أن" المضمر بعد "حتى"، قوله تبارك وتعالى { **يُعَلِّمَانِ** } الضمير يرجع لهاروت وماروت { **حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** } ، { **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ** } { **يُعَلِّمَانِ** } هنا الضمير يرجع إلى هاروت وماروت، قوله تبارك وتعالى

{ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** } يعني معنى الفتنة أي: الابتلاء والاختبار، هذا كما قلت صحيح أن الله جل وعلا يبتلي عباده بما شاء ومن ذلك ابتلاء العباد بهذا السحر وبهذه الشعوذة، قوله تبارك وتعالى { **فَلَا تَكْفُرْ** } قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أتاهم الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقال له : { **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** } ، لأنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان ومن ذلك أن السحر كفر، وقال الحسن البصري رحمه الله نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس، وكنا يعلمان الناس السحر، يعلمانهم ليس من باب التعليم ليكونوا سحرة، لكن من باب التخويف والترهيب والتحذير، لذلك كانا يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر، قوله

{ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا** } أي يتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يفرقون بين المرء وزوجه، وهذا من الأدلة على أن السحر له حقيقة وأن له تأثيرا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (إن **الرقى والتمايم والتولة شرك**) و **التولة شيء** يصنعونه يزعمون أنه يحجب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وقد يكون أيضا صرفا يفرقون به بين المرء وزوجه قد يكون السحر يجمع بين زوجين وقد يكون يفرق بينهما كما هنا في هذه الآية، ولذلك هذا من الأدلة على أن السحر له أثر وله حقيقة.